الطوطمية بين السحر والدين فى عصور ما قبل التاريخ بأفريقيا

د.زينب عبد التواب رياض•

مقدمة عامة

تعد إفريقيا بمثابة متحف حى مفتوح الأرجاء ، نرى فيه حياة انسان عصور ما قبل التاريخ، بعدما كنا نعتمد فقط على الاستقراء .. فلازالت هناك العديد من القبائل الأفريقية تعيش حياة الإنسان البدائى بكل بساطتها ومعتقداتها وبكل مفرداتها التى كنا قبل ذلك نعتبرها من الأمور المعقدة التى يصعب تفسيرها ، الا أن تلك القبائل أعادت الينا الماضى البعيد ، فأصبحنا نرى ماضينا ونحيا حاضرنا لنحمد الله على ما أنعم به علينا من نعم كثيرة .

يرجع تاريخ الإنسان الأول فى أفريقيا الى ما يزيد عن الثلاثة ملايين سنة ، وتعتبر أقدم السجلات المكتوبة عن إفريقيا هي التي خلفها المصريون القدماء منذ خمسة ألف سنة مضت، وما سجلوه الكوشيين (السودانيين القدماء) فى شمال القارة الأفريقية [١] .

أما الأجزاء الجنوبية من القارة الإفريقية فلا توجد سجلات مكتوبة عنها، إلا تلك التي لا يتجاوز عمرها قرن أو قرنين من الزمان[٢]، لذلك أطول فترات الإنسان في إفريقيا أطلق عليها الدارسون فترات ما قبل التاريخ أي الفترات التي سبقت ظهور الكتابة ولكن هناك عدة أسباب تجعل أن هذا المصطلح (ما قبل التاريخ) لا يلائم إفريقيا بصورة كلية منها:-

١- كانت فترات طويلة في الجزء الشمالي من القارة فيها سجلات مكتوبة لكنها لم تكن تقدم معلومات كافية عن الكثير من جوانب الحياة المعاصرة.

٢-الكثير من السجلات المتوفرة قد تم وضعها من قبل أجانب وهي كثيراً ما تعطي سرداً غير مكتمل لأحداث لم يدركها المؤرخون بصورة صحيحة.

الطوطمية فى أفريقيا

كانت الطوطمية أحد أهم الديانات الأفريقية التى عرفت منذ عصور ما قبل التاريخ ، وظلت متوارثة مع اختلاف مظاهرها فى العديد من القبائل البدائية التى تعيش فى أجزاء عدة من قارة أفريقيا

تعريف الطوطمية :-

الطوطمية ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية ورمز معين يسمى "الطوطم"[٣] ، والطوطم يمكن أن يكون طائر أو حيوان أو

•مدرس آثار مصرية – كلية الآثار – جامعة أسوان

[1] - Balout.L., the prehistory of North Africa, in: Ki-zerbo,J., General history of Africa, Methodology and African Prehistory,1981 ,pp.568-583.

[2] - Clark.J.D., Prehistory in southern Africa,in: Ki-zerbo,J., General history of Africa, Methodology and African Prehistory,1981 ,pp.487-528.

[3] - Haas, E.Th. Totem und Tabu ein exotischer Tagtraum oder Grundlage einer allgemeinen Kulturtheorie, 2002, Psyche, 56: 139–44.

المنارة للاستشارات
www.

نبات أو ظاهرة طبيعية أو مظهر طبيعي مع اعتقاد الجماعة بالارتباط به روحيا[٤].
كأن تتخذ القبيلة مثلا من "الكلب" رمز طوطمى لها، ويبين (شكل : ١) رمز طوطمى لكلب برى كانت تتخذه أحد القبائل الأفريقية " طوطم " لها [٥].

أخذت كلمة "طوطم" عن الأوجيبوا، وهي لغة الغونكية يتحدث بها هنود البحيرات الكبرى في أمريكا الشمالية، وقد أدخلها إلى الغرب ج. لونغ عام ١٧٩١، لكن استخدامها الأنثروبولوجي يعود إلى ف . ج. ماك لينان (١٨٦٩ – ١٨٧٠) ، يستخدم الأوجيبوا كلمة "طوطم" بمعنى علاقة محض اجتماعية (قرابة أو صداقة) قائمة بين شخصين . هناك بعض جماعات من الأوجيبوا تنتظم في عشائر أبوية النسب وخارجية الزواج، وتتخذ كل عشيرة لقباً مستمداً من إحدى فصائل الحيوان[٦].

الطوطمية والرسوم الصخرية

كان الرسم بالنسبة للإنسان البدائي فن نفعي ؛ قصد منه الانتفاع بكل قوى الطبيعة ، بل والسيطرة على القوى الخفية المحيطة به عن طريق الرسم ، فرسم نفسة وهو يصطاد الحيوانات لكي يقدر على أصطيادها في الواقع ويقدرعلى التغلب عليها كما تغلب عليها في رسوماته .

وكان الانسان البدائى يرسم صوره في مناطق يصعب الوصول إليها لكي يجعل تلك الرسوم السحرية فعالة ولا تفقد طابعها السحري واعتقادا منه أيضا أن تلك الرسوم لو وضعت في مكان من السهل الوصول إلية فسوف تؤثر عليه ، ولقد استخدم الإنسان البدائي تلك الرسوم وحولها إلى رموز وكانت تمثل " الطوطم " الذى كان عبارة عن مجموعة من الأشكال والرموز ، التي تأخذ الطابع السحري ، ومن ثم كان يغطي وجهة بقناع حتى لا تتعرف عليها القوى السحرية.(شكل : ٢)

الأصول الأولى لنشأة الطوطمية

تنوعت المعتقدات والعبادات البدائية وكانت جميعها مستوحاه من البيئة المحيطة بالإنسان ، فقد راقب الإنسان البدائى بيئته بكل ظواهرها ، وبدأ ينسج بخياله صور عدة وكان من بين هذه الصور انه ظن أنّ أباه الذي يظهر له في الحلم هو هذه القوة الخفية فعبده وذبح له القرابين و اتخذ من قبره مزارا ونشأت عبادة أرواح الأسلاف والتي هي عبارة عن عبادة شيء ما مكانه جسد تقمصته روح و لربما كان هذا الشيء شجرة أو قطعة خشب ثم تابعت هذه الأشياء تطورها الى ان اتخذت شكل تماثيل ثم تطورت هذه العبادة لتصبح عبادة ثابتة و أصبح لكل قبيلة جد قديم تجعل منه إلها ورمزا لها .

---

[4] - Ferguson.M.J., “The Worship of Animals and Plants.” *Fortnightly Review*, 6 (1868), p.407–27, 562–82; 7 (1870), 194–216.

[5] -Hontor,E., African wild dog as Atotem,2015.

[6] - Fershtman,C., and Hoffman,M., Taboos and Identity: Considering the Unthinkable,in: American Economic Journal: Microeconomics 3 (May 2011): 139–164

المنارة للاستشارات
www.

ومع تطور المعرفة عند الإنسان البدائي وارتقائه اخذ هذا الإنسان يتصور أن روح هذا الجد يمكن أن تحل في حيوان أو شجرة فانتقل إلى عبادة الحيوانات و الأشجار و أصبح لكل قبيلة حيوانها الخاص الذي تعبده وتبجله ومن هنا نشأت فكرة (الطوطم) وهو مرة طائر ومرة ثعلب ومرة بقرة وتارة أخرى شجرة عتيقة وهكذا ومع تطور الفكر الإنساني تعددت القوى و تبدلت بما يتوافق مع تعدد حاجات هذا الإنسان ومخاوفه بالإضافة إلى تعدد العوامل الجغرافية و الطبيعية التي يعيشها ولكي يتقرب الإنسان البدائي من هذه المعبودات أدعى بقرابته منها و بأصله الواحد الذي يجمعهما معا وهكذا نشأت أولى الأفكار التي كونها الإنسان بطبيعته [٧]

ويعد الطوطم رفيق ومساعد مع الارواح الخارقة، وهو وجود مقدس حيث تعتبره الجماعات كهوية لها ؛ يحرم لمسه وتحطيمه، ويرى بعض الباحثين أن الطوطمية ما هى الا ممارسات تقليدية تخلق نوع من التوازن البيئى، لضمان الاستخدام الرشيد للحيوانات والنباتات، وتعد ايضا من أدلة الفلسفة فى استخدام الموارد والمحافظة عليها [٨].

وقد شكك بعض علماء الإنسان بوجود الطوطمية والبعض الآخر أعتبرها بداية اولية لديانة أو ثقافة وليست ديانة قائمة بذاتها. وقد ضمت الطوطمية اعتقادات منها الايمان بوجود ارواح تسيطر على الطبيعة بطريقة أو بأخرى ولابد من نيل رضاها.[٩]

ومن هنا كان بزوغ معتقد الآلهةاعتماداً على عبادة مظاهر الطبيعة ومن المحتمل أن تكون الطوطمية هي الشكل الأول للدين في كثير من حضارات العصور الحجرية لاسيما العصر الحجرى الحديث[١٠].

وبرغم إن هناك ديانات متشابهة وبعضها متقاربة إلا أن هناك ديانات من التباين والتنوع والتشعب ما يجعل من الصعب إيجاد تعريف ونظرية شاملة للدين[١١]، وربما ان هذه النظريات تفسر مراحل لاحقة من الدين وليس أصل الدين، أو هي تفسر أنماط مختلفة من الدين على اعتبار إن الظاهرة الدينية متعددة الأنماط، لهذا لا يمكن الحديث إلا عن تعريفات تقريبية، لاسيما عند الحديث عن الديانة الأفريقية، اذ يصعب على غير الأفريقى فهمها واستيعابها، فهى من الأمور المعقدة والتى تتدخل فى تشكيلها عوامل عدة [١٢].

---

[٧]-مسعد بري ، تطور الفكر الطوطمي (دراسة في الجغرافية الاجتماعية) ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية / قسم الجغرافيا ، جامعة حلب ، ٢٠١٠

[8] - Gumo,S ; & Others , Communicating African Spirituality through Ecology: Challenges and Prospects for the 21st Century, Religions ,2012, 3,p.527.

[9] - Roscoe, J., the Soul of Central Africa, London, 1922, p. 200.

١٠-طه الهاشمي، تاريخ الأديان وفلسفتها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٣، ص ١٥٨.

[11] - Oman, J., The Natural and the Supernatural, C.U.P., 1931, p.485.

[12] - Awolalu ,J.O., What is African Traditional Religion?,in: Comparative Religion, Vol. 10, No. 2, 1976,p.1-10.

المنارة للاستشارات
www.

وبصفة عامه يمكن القول أن فكرة الإله موجودة لدى جميع الشعوب البدائية ولا نزال نلمسها لدى اصحاب الحضارات الحجرية المعاصرة مثل جماعات أقزام أفريقيا وقبائل جنوب شرقي استراليا التى تعيش على الفطرة والوحي والخيال ، وربما كان تبدل أشكال الحياة هو الذي خلق الأساطير والخرافات، هذا بالإضافة الى دور العاطفة وخصوصا عاطفتي الخوف من الموت والطمع في الخلود هي الباعث الرئيسي وراء الظاهرة الدينية، هذا بخلاف تعدد القبائل الأفريقية وكثرتها، والاختلاف فيما بينها من حيث التصور الفكرى والعقائدى الذى يجعل من الصعب وضع قاعدة عامة للأساس الدينى فى القارة الأفريقية[١٣].

الطوطمية كما فسرها فرويد :-

فسر فرويد أصل الطوطمية اعتمادا على نظرة فلسفية تخيلية – ربما جانبها الصواب - اذ رأى أننا إذا تتبّعنا التطور التاريخي الذي قطعته البشرية سنجده يرجع لقبيلة بدائية تشبه تجمعات الحيوانات، يحكمها زعيمٌ واحدٌ قويٌّ، يخضع له جميع الأبناء، في ذات الوقت الذي يحتكر فيه النساء لنفسه، ويقضي بأعمال قاسية لمن يحاول منازعته في امتلاك النساء.. لكن الأبناء اجتمعوا على الانتقام من الأب، بقتله، ثم التهامه ، وبفعل هذا الالتهام اتحدوامع الأب، ليضعوا بذلك حدّ ا للأسرة البدائية.

وفرويد يعتقد أن الإخوة الذين وحّدوا كلمتهم ليفتكوا بالأب، لا بدّ أنه قد راودت كل واحد منهم الرغبة في أن يصير مثل الأب، لهذا سعوا لإشباع هذه الرغبة بابتلاعهم له، لكن هذه الرغبة لم تُشبع بسبب ضغط روابط العشيرة الأخوية على كل فرد من أفرادها [١٤].

وهؤلاء الأبناء الذين تمردوا على أبيهم والتهموه – كما يرى فرويد - كانوا يخضعون لمشاعر مزدوجة للعقدة الأبوية ؛ إذ كانوا يكرهونه ، نتيجة اعتراضه بعنف تجاه حاجتهم إلى تحقيق القوة وتلبية مطالبهم الجنسية، لكنهم في ذات الوقت يهابونه ويمجدونه.. ونتيجة قتلهم إياه واقترانهم او اتحادهم معه بالتهامه ، نشأ لديهم شعور بالذنب والندم ، مما دفعهم إلى تخليد صورة الأب على شكل طوطم ، معلنين تحريم قتله كنائب للأب [١٥].

كما أن ما قد حرّمه الأب في السابق، بمجرد وجوده بالذات، باتَ الأبناء يحرّمونه على أنفسهم، بسبب "الطاعة المُرجأة "، وقد تنصلوا من فعلتهم بتحريم قتل الطوطم[١٦].يربط الأبناء في مخيلتهم الأب المقتول مع الحيوان الطوطمي وهم يمتنعون عن قتله ويعتقدون أنّ هذا الحيوان هو الجدّ الحقيقي للعشيرة، وهو حاميها، وهو خيرٌ نجاه لسلالتها.

---

[13] - Mbiti,J.S., African Religions and Philosophy, Heineman, 1969, p.1.

[١٤]- للمزيد انظر : سيغموند فرويد ، الطوطم والحرام ، مترجم ، بيروت ، ١٩٩٧

[15] - Wasdell,D., The myth of god, London, 1982, p.31-33.

[16] - Margaret,M., An Ethnologist's Footnote to 'Totem and Taboo', The Psychoanalytic Review ,1930,vol. 27,p.297-304.

المنارة للاستشارات
www.

وتتميز علاقة الفرد بالطوطم بأنها علاقة تفاعلية تبادلية، فالطوطم روح حامية للإنسان والعشيرة، والإنسان يعبر عن احترامه له بعدة صور، كالامتناع عن أكله إن كان حيوانًا، أو قطفه إن كان نباتًا، وهو يحمل مع جماعته اسم طوطمهم، كما أنه يحظر زواج أعضاء الجماعة الطوطمية ممن ينتمون لنفس الجماعة، ويعاقب من يفعل ذلك عقابًا قاسيًا كالموت بالنسبة للرجل، والعض والطعن بالرماح حتى الموت بالنسبة للمرأة، فاعتبار الطوطم هو الجد الأول يؤخذ على محمل الجد في هذا الحظر، فجميع المنحدرين من طوطم واحد متّحدون بالدم .

وهكذا، فإن الطوطمية نظام ديني واجتماعي في آن واحد ، فمن الناحية الدينية هناك حظر بقتل الطوطم، ومن الناحية الاجتماعية حظر باقتتال الإخوة.

دور الشامان فى العبادة الطوطمية الافريقية

يرجع بعض الباحثين أصول الطوطم إلى أحد الاجداد الأوائل من الشامان الذى كان بمثابة طبيب وساحر القبيلة المكلف بتنمية العلاقة بين الافراد والطوطم.

الشامانية :

دين بدائي يتميز بالاعتقاد بوجود عالم محجوب هو عالم الالهة والشياطين وارواح السلف. وان هذا العالم لا يستجيب الاّ للشامان وهو كاهن يستخدم السحر لمعالجة المرضى والسيطرة على الأحداث.

والشامانية ظاهرة دينية تتضمن مجالات وممارسات الشامان التى يقوم بها كى تلتف حوله القبيلة، وبالرغم من أن الشامانية موجودة بعدة أشكال حول العالم ، الا ان الموطن الأصلى للشامانية بشكلها النقي يوجد فى سيبريا وأسيا الوسطى ، بالإضافة الى السكان الأصليين للأمريكتين والذين يبدون من أصول وسط آسيوية.

وللشامانية أيضاً وجود في ديانة الشنتو فى اليابان وممارساتهم تتعلق بشكل رئيسي بالطقوس القروية ، وفي الهند الصينية، حيث تهتم ممارسات الشامان بشكل رئيسي بمعالجة المرضى، أما بالنسبة للشامانية في كوريا فهى متعلقة أساساً بعالم الأرواح[١٧].

يعد الشامان هو الوسيط أوهو الكاهن والمعالج الروحى، الذى يلتف حوله أفراد القبيلة إعتقادا منهم بدوره الهام كوسيط بينهم وبين الإله [١٨] وذلك كما تعتقد بعض القبائل الأفريقية، ولقد كان للشامان دور هام منذ عصور ما قبل التاريخ ليس فقط بأفريقيا بل بالعديد من الحضارات الأخرى كما جاء اعلاه، وقد عثر على أدلة هذا الدور فى مواقع عدة [١٩] (شكل : ٣)

---

[١٧] -كامل على ، أساطير الأولين – الشامانية ، مجلة " كتابات " ، ٢٠١٢ ، ص ١ – ٢

[18] - Winkelman, M., 2004, 'Shamanism as the Original Neurotheology', Zygon, 39, 1: 193-217.

[١٩] - تم الكشف حديثا عن أقدم دفنة لإمرأة الشامان ترجع للحضارة الناطوفية عثر عليها بالأردن ، السيدة يبلغ عمرها ٤٥ عام – طولها ١.٥ م دفنت بعد موتها اسفل لوح حجرى ضخم و دفن معها العديد من

المنارة للاستشارات
www.

وغالبا ما يتقرب الأفريقى الي الطوطم بانواع غريبه من العباده وذلك من خلال الساحر أو الشامان، ومن وسائل التعبير عن هذه العبادة :-

- **تقديم القرابين** : والتي تكون غالباً حيوانات وطيور او حلي ومتاع .
- **تقديم ارواح بشريه** : فقد تراق دماء بشريه امام الطوطم ليرضي عنهم الطوطم .
- **الصلاه للطوطم** : هي مواسم معينه يكون واجباً تقديم فروض الطاعه والولاء للطوطم كي يرضي عنهم وحتي لايصب علي القبيله كلها غضبه وحتي يباركهم وغالباً ما تتعلق هذه المواسم بفصول السنه وبالجفاف والخصوبه والامطار والكوارث والموت .

هنا يكون واجباً التقرب للطوطم وذلك بالرقص والتواثب حول الطوطم ويعرف هذا اليوم بيوم عبادة الطوطم حيث يستعدون له بالاقنعه والثياب الغريبه ثم يبداوا في رقص تمثيلي معبر ربما يرمز لطقسة ما . [٢٠]

ويكون المسؤل عن عبادة الطوطم هو ساحر القبيله وهو المسؤل الاول عن ارضاء الطوطم وطرد الداوا ((الشر والسحر)) [٢١] بعيداً عن القبيله ويحرم علي اي شخص الاقتراب من الطوطم او لمسه فساحر القبيله فقط هو من يستطيع الاقتراب من الطوطم ولمسه وهذا التابو صريح وحازم جداً فقد تصل عقوبة مس الطوطم الي الموت . [٢٢]

وهناك العديد من الأفكار الطوطمية التى تفرض على المجتمع الذى يؤمن بها قواعد وأسس وتقاليد معينة ، تعد بمثابة رباط وثيق يربط بين أفراد هذا الطوطم او ذاك بما لا يسمح بالإخلال بأحكام وتقاليد القبيلة الطوطمية [٢٣] .

الجسد والطوطمية لدى القبائل الأفريقية

إن الجسد يعتبر من أهم مكونات الإنسان، إذ بواسطته يتّم التعرّف على الفرد وعلى شخصيته وأفكاره وميوله وأحاسيسه وعواطفه التّي تظهر على الجسد بعدّة أنواع وأشكال، ولقد وقف الإنسان من جسده موقفا مزدوجا إذ هو يعتبره من جهة موضوع خجل وعار وبالتالي ينبغي ستره بالثياب وحجبه فينظّفه ويطهره ويعالجه ويعرضه بأبهى الحلل والزينة، ومن جهة ثانية يعتبره مرآة تعكس شخصيته الذاتية.

الأجزاء الحيوانية وسيقان آدمية ، وكانت تلك الدفنة بملحقاتها واحدة من أهم الدفنات التى أكدت على وجود الشامان (سواء كان رجل أو إمرأة) منذ عصور ما قبل التاريخ فى مختلف الحضارات.

[٢٠]- حسين عباسى ، الوشم لدى قبائل أفريقيا الوسطى : الذات والموضوع ، مجلة الثقافة الشعبية ، العدد ١٣ ، ٢٠١١

[21] - Idowu, E.B., African Traditional Religion, S.C.M., 1973, p.87; Pritchard,E.,Theories of Primitive Religion, 1965, pp.103ff.

[22] - See: Daniel M. T.,& Navarrete .C.D., "Meat Is Good to Taboo: Dietary Proscriptions as a Product of the Interaction of Psychological Mechanisms and Social Processes." Journal of Cognition and Culture, 3(1), 2003, p.1–40.

[23] See: Freud, P.S., Totem and Taboo, London, 1919, p.1-22.

المنارة للاستشارات
www.

فالإنسان منذ القدم يحاول أن يقدّم جسده إلى الآخر في أبهى صورة يرتضيها هو أوّلا ويرتاح لها نفسيا. واللباس الطبيعي للإنسان هو جلده، هذا الجلد الذي تختلف طبيعته حسب الأوساط ، فنجده في ألوان عديدة كالبشرة البيضاء، والبشرة السوداء، والبشرة السمراء وحتى البشرة الحمراء. ويقال إنّ المرء يحس بالخير أوالشر في جلده، ولقد أجبر الإنسان منذ القدم على حماية جلده من البرد بارتداء الملابس، فبرودة المناخ دفعت بالإنسان منذ القدم إلى تغطية جسده بفراء الحيوانات التي كان يصطادها.

وتطور الأمر الى أن اصبح استعمال الإنسان البدائي فراء الحيوانات وجلودها للتنكر إمّا من أجل تقليد الحيوان الطوطمي للقبيلة، أومن أجل الحصول على صفات الحيوان، وظهر ذلك بوضوح فى قبائل عدة بالقارة الأفريقية لاسيما غانا فى غرب أفريقيا [٢٤] الذي أتى منه الجلد إما لمخادعة أو إرعاب العدو، سواء أكان هذا العدو حيوانا أم إنسانا. كما أنّ هذا التنكر يظهر أحيانا وخاصة لدى القبائل البدائية، في تلك العلامات والرموز التي قد تنقش أو تخدش أوتكوى أوتوشم على سطوح جلودهم. هذه العلامات والرموز تمثّل في مجملها الوشم وعلى الرغم من انتقاله بين العصور القديمة مرورا بالوسطى إلى الحديثة، فقد عُرف الوشم كفن ورمز لكثير من المفاهيم واستخدم للعديد من الأغراض ذات المعاني عند الشعوب.[٢٥]

الوشم و علاقته بالطوطمية لدى القبائل الأفريقية

- كان للوشم جذور امتدت به الى عصور ما قبل التاريخ ، اذ اعتبر بمثابة تعويذة ضدّ الأرواح الشريرة ووقاية من أضرار السحر ، وقد عُثِرَ على جثث تعود إلى العصر الحجري الحديث في جنوب أمريكا - الألف السادس ق.م - والتي تثبت الممارسات القديمة للوشم [٢٦] وكذلك فى أوروبا .. اذ عثر على جسد حفظه الجليد ، يرجع للألف الرابع ق.م ، وكان على الشفاه آثار وشم [٢٧] .

- ولقد كان الوشم في فجر التاريخ ذا طابع بدائي قبلي ، حيث كانت القبائل تتخذ من بعض الحيوانات حاميا وصديقا وأمانا لها ، فتجعل من رأسه "طوطما" تحتفل به،

---

[24] - Francis,L., Significance of animal symbolism among the Akans of Akyem Abuakwa traditional area, Thesis submitted to the School of Graduate Studies, Kwame Nkrumah University of Science and Technology, Kumasi in partial fulfillment of the requirements for the Degree of master of arts in art education ,Faculty of Fine Art, College of Art and Social Sciences July 2009, p.1-4; Parrinder,E.G., West African Religion, London, 1949, p.26.

[٢٥]- حسين عباس ، مرجع سابق

[26] - Aaron, D., "The Material Culture and Middle Stone Age Origins of Ancient Tattooing". Tattoos and Body Medications in Antiquity: Proceedings of the sessions at the EAA annual meetings in The Hague and Oslo, 2010/11. Zurich Studies in Archaeology, 9, 2013, pp. 15–26.

27- Vergano,D., Mummy tattoos hint at ancient Andean acupuncture16 May 2015,in : http://content.usatoday.com/topics/reporter/Dan+Vergano

المنارة للاستشارات
www.

وتصنعه شارة على بيوتها أوسيوفها أو وشما على صدور رجالها ، ويظّل هذا الحيوان رمزا محترما لدى هذه الشعوب وأجيالها .
ويرى الأنثربولوجيون أن الوشم الذي يزين به الريفيون أيديهم وصدورهم وشفاههم ووجوهم لم يكن فى يوم من الأيام مجرد عبث ، وإنما يعود إلى التاريخ القديم عندما كان الناس يعيشون فى حياة بدائية يقدسون فيها بعض الحيوانات ، ويخشون فيها من بعض مظاهر الطبيعة كالموج والرياح والمطر والرعد . ويقودنا هذا كله إلى أن الوشم ظهر فى المجتمعات الطوطمية التى تتألف من قبائل وعشائر صغيرة لكل منها طوطمه الخاص، وهو عبارة عن نوع حيواني أو نباتي أو أحد مظاهر الطبيعة التى ترتبط بها هذه العشيرة وتتخذها رمزا لها .
وأحيانا يكون الرمز عبارة عن أشكال هندسية أو مجموعة خطوط ليس فيها شيء من صورة الطوطم وإنما يصطلح على اتخاذها رمزا لها ، وقد تستخدم بعض أجزاء الحيوان أو النبات نفسه كرمز إلى الطوطم.
ومن ثم نرى الرمز الطوطمي للعشيرة مثبتا على أجسام أفرادها وملابسهم وأغطية رؤوسهم وأسلحتهم وخيامهم وتوابيت موتاهم وقبورهم وما تملكه من حيوان ومتاع ولما كان أفراد العشيرة مشتركين مع طوطمهم فى طبيعته، فهم كذلك يشتركون معه فى قدسيته، فكل واحد منهم كان ينظر إليه على أنه متمثل فى صورة ما. وهذه القدسية منتشرة فى جميع أجزاء الجسم وعناصره، ولكنها أظهر ما تكون فى نظر هذه العشائر فى دم الإنسان وشعره. ومن ثم كانت الدماء والشعر من أكثر عناصر الإنسان استخداما فى هذه الطقوس والشعائر الدينية البدائية عند هذه العشائر[٢٨].
وعلى هذا الأساس أنه حينما كانت تطبع صورة الطوطم على جسم الإنسان المراد امتزاجه بطوطمه، كان لابد من خروج الدم لكي يمتزج به امتزاجا ماديا ومعنويا، بتلك الصفات والأشياء التى ذكرناها، ومن هنا نشأت عادة الرسم أول الأمر وكانت ذات دلالة اسطورية ، واستمرت متوارثة بين أفراد القبيلة الطوطمية تميزهم دون غيرهم ، وتجمعهم برباط من القربى والحميمية كأفراد عائلة واحدة.[٢٩]
ومن التقاليد الملفته للنظر فى العديد من قبائل قارة أفريقيا ؛ تلك العلامات والرموز والنقوش التي توجد على جلود بعض القبائل مثل الزنوج في إفريقيا ، والتى تصل الى حد التقديس والإجبار[٣٠] ولئن كانت هذه النقوش غريبة وبشعة في نظرنا، أحيانا إلاّ أنها تمثّل ثقافة كاملة لمفهوم القبلية في إفريقيا.

---

[28] - Robin,F., Totem and Taboo Reconsidered. In The Structural Study of Myth and Totemism, London, 1967, pp. 161-178

[٢٩]- بركات محمد مراد ، فن الوشم ، رؤية أنثروبولوجية نفسية ، مجلة الثقافة الشعبية ، العدد الثالث ، عادات وتقاليد ، البحرين ، ٢٠١١

[30] - Devilloers,A., Certain Aspects of Pioneer Toponymy in South Africa in the Nineteenth, Century. Proceedings of the 8th International Congress of Onomastic Sciences 1963, pp. 568-74

المنارة للاستشارات
www.

إنّ الإنسان البدائي في إفريقيا قد حوّل عدّة معايير وقوانين سنّها وسلوكيات خاصة إلى قيود، بمعنى أنه قد أجبر نفسه وغيره على الالتزام بما تحدّده هذه المعايير وهذه السلوكيات.

معنى ذلك أنّ ما يؤديه الناس على أنّه السلوك المعتاد أوالمتوسط، يتحوّل في هذه الحالة ليصبح ما يجب أن يؤدى [٣١].

من ضمن السلوكيات والمعايير التي أصبحت واجبا وجب اتباعه في قبائل وسط إفريقيا [٣٢] هي عملية الوشم أو بالأحرى عمليات التشريح الجسدي أوالتشطيب الجسدي التي أصبحت واجبا وعرفا يجب على كل فرد ينتمي إلى القبيلة أن يقوم به وخلافا لذلك يفقد انتماءه إلى المجتمع القبلي ، اى ان للوشم ايضا مدلوله الطوطمى بين أفراد القبيلة [٣٣]. (شكل: ٤)

الروحانية الطوطمية

وفقا لمختلف الروحانيات الأفريقية .. نجد أن الإنسان فى الحياة إنما يعيش في الكون الديني ؛ بمعنى أن الدين هو المحرك له ، وأن كل الظواهر الطبيعية والكائنات ترتبط ارتباطا وثيقا مع الله . ووفقا لذلك فالإنسان والحيوان وغيرهم من الظواهر الطبيعية لا تنشأ إلا من عند الله وما هى الا إنعكاس لله على الأرض . ويعتقد أغلب الأفارقة أن الله هو الوالد - ومن ثم فهو الطوطم - سواء بسبب منصبه كرئيس للقبيلة جميعا ، أو بسبب شخصيته التى يحترمها ويقدسها الجميع ؛ فالأب بالنسبة لهم هو الإله الذى يسعون لنيل رضاه [٣٤].

وتتمثل الروحانية الطوطمية بوجه عام فى الاعتقاد بوجود أرواح غير مرئيّة ، وأن الأشباح - أو الأرواح الخيّرة - هي التي تساعد على توفير الصيد والحماية من الأمراض. إنّها تقف في وجه الشياطين والأرواح الشرّيرة التي تسكن الغابة ، وترأس الكثير من الطقوس التي تنظّم الحياة اليوميّة، فتظهر في طقوس التلقين والصيد وتضميد الجراح والخصوبة والجنازات[٣٥] .

ومن ثم كانت عمليات الخدش او الفصد او الوشم جميعها أفعال روحانية محورها إخراج الدّم من الجسد فأفراد القبيلة يشعرون براحة روحية حينما يشاهدون الدماء، والدم منذ القدم هو رمز الروح وهو أيضا رمز للطاقة الحيوية، هذه الطاقة التي يكتسبها البعض حينما يشربون دماء الأضاحي التي يقدمونها أثناء طقوسهم الاحتفالية.

---

[٣١]- حسين عباس ، مرجع سابق

[32] - Frazer, J. G., The Mackie Ethnological Expedition to Central Africa," *Man,* xx. (1920), p. 181ff.

[٣٣]- حسين عباس ، مرجع سابق

[34] - Gumo,S ; & Others , Op.Cit.,p.525.

[35]-Jean-François Dortier ،« Le pape et les Pygmées. À la recherche de la religion première » ،Les Origines de la Religion ،Grands Dossiers des Sciences Humaines ،2006/12 (N°5).

المنارة للاستشارات
www.

شلخ الوجه وارتباطه بالطوطمية

كان شلخ الوجه في السودان من مقومات الزينة لديهم ، والشلخ من الوسمات التي تميّز القبائل عن بعضها البعض، والشلخ هو عملية إحداث ندوب وتشطيب وخدش في الوجه بصورة مميّزة ، وللشلوخ أشكال وألوان ولكل قبيلة شلخها ، وتنفرد قبيلة "الشايقيّة" بشلخٍ أوخدْشٍ خاص بها وهو عبارة عن ثلاثة خطوط أفقية متوازية يمتد أوسطها من عند الفم حتّى أقصى الخدّ.[٣٦]

ولقد أكد علماء الانثروبولوجيا ودارسو الأجناس البشرية أن هذه العادة منتشرة جدّا في القارة الإفريقية كما أن الأزاندي اليوم، وبخاصة النساء يمارسن "الشلوخ" كما تفعل السودانيات في شمال السودان بأشكاله المختلفة. فللقارة الأفريقية فلسفتها الخاصة فى التعبير عن شخصيتها وعاداتها وتقاليدها الموروثة[٣٧].

مفهوم قبول الألم والتغلب عليه

إن عمليات الخدش والوشم مؤلمة جدّا نظرا لعدم استعمال مواد مخدّرة تسكن تلك الآلام، فالألم هو الغاية المنشودة التي تتحوّل في لحظة معيّنة إلى لذّة ونشوة، لذّة الانتصار على هذا الألم، والنشوة بإظهار الشجاعة والقوّة والرجولة أمام الآخر وخاصة الجنس المقابل .

إنّ مفهوم قبول الألم والتغلب عليه هو المسار الواقعي لمعالجة ألم النفس هذا المفهوم يطرحه علماء النفس ويقول بانّ العلاج الحقيقي يتمثل في القدرة على تقبّل الألم كوسيلة لإنهائه.

والخدش والوشم بصفة عامة بالنسبة للمجتمعات البدائية الإفريقية هو ممارسة السحر في الجسم ولقد اكتسب الخدش طبيعة سحرية روحانية عقائدية.

إنّ قدرة الإنسان البدائي الإفريقي على تحمل آلام عملية شقّ الجلد ترتبط بالأساس بمعتقد "اكتساب قوى سحرية" وتستعمل لذلك أدوات حادة لتشريط الجلد وخدشه وبقدر ما تكون طاقة الفرد على تحمل تلك الآلام الحادة كبيرة، بقدر ما يكتسب قوى سحرية روحانية تمكّنه ممن السيطرة على الآخر.

فهذه العمليات في قبائل وسط إفريقيا ترتبط بالأساس بالدين، والدين لدى الأقوام البدائية هو الاعتقاد الراسخ في عالم الأرواح واسترضاء القوى المتعالية على الإنسان الذي يعتقد أنها تُدير مجرى الطبيعة وتوجّه حياة البشر.[٣٨]

إنّ ممارسة الخدش أوشق الجلد أوتشريحه في طقوس روحانية احتفالية تُضفي قدسية على القبيلة إذ يعيش أفرادها لحظات ينفصلون فيها عن وجودهم الدنيوي ليلتحقوا بالوجود المقدس. هذا المقدس الذي يمنحهم القوة السحرية مقابل أن يمنح الإنسان

---

[٣٦]- حسين عباس ، مرجع سابق .

[37]- Walmsley,G., African Philosophy and the Future of Africa Edited , Cultural Heritage and Contemporary Change Series II, Africa, Volume 14, 2011,p.1-2.

[٣٨]- حسين عباس ، مرجع سابق .

المنارة للاستشارات
www.

بدوره الألم. إن هذه العملية هي ظاهرة اجتماعية في القبيلة الإفريقية ولها القدرة على توحيد المجموعة الاجتماعية للقبيلة ومنحها الشعور بالوحدة والانتماء.. وكأن الألم هنا يجمعهم معا برباط طوطمى يوحدهم .

السحر والرمزية من خلال الرموز والرسوم الصخرية

يحتل السحر مكانة هامة في حياة الشعوب الإفريقية ويظهر ذلك من خلال الرسوم الصخرية التى ترجع الى عصور ما قبل التاريخ ، ومن خلال ما عبرت عنه التقاليد والممارسات المختلفة ، ويشكل الساحر شخصية استثنائية في القبيلة ، فهو يمتلك قوى فوق قوى الطبيعة والأرواح والأمراض والأعداء . ولقد عبر الفن البدائى عن ذلك عندما صور لنا هيئات الشامان والسحرة ، والحيوانات ذات الدلالة الرمزية التى تجمع بين شكل الحيوان والسمات الطوطمية .

وكان من اهم هذه الرموز التى ربما كان لها دلالتها " طبعات الأيدى "[٣٩] أو بصمات الأيدى وهى من السمات الفنية التى انتشرت فى اجزاء عدة من كهوف العالم وكانت ضمن اهم عناصر فن الرسوم الصخرية .[٤٠]

وكانت طبعات الأيدى إما تصاحب مناظر حيوانية أو مناظر صيد ، أو كانت تأتى فى مجموعة من بصمات وطبعات أيدى عدة لرجال ونساء كان لاشك لها دلالتها بالنسبة لهم .[٤١]

ويعتبر سيد القبيلة بمثابة الساحر الذي قد تعلّم اكتشاف المجهول ويعمل على أن يتواصل بينه وبين الموتى فهو الذي يقوم بحلّ الكرب والمشاكل التي يتعرّض لها الإنسان وإعطاء أجوبة وحلول تساهم في إرساء التوازن في المجتمع القبلي وهو المسؤول على إخماد غضب الإله والحماية من الأرواح الشريرة .[٤٢]

عبادة الأسلاف وارتباطها بالوشم والخدش والفصد

عرفت عبادة الأسلاف أو عبادة روح السلف عند بعض الشعوب وكان من بينها شعب "الازاندي" وكان شأنهم في هذا شأن معظم القبائل الإفريقية في صلة حميمية معهم[٤٣]. " فعالم الأحياء وعالم الأموات يكوّن في واقع الحال مجتمعا واحدا والصلة بينهما قائمة ، وتتجلى تلك الصلة عن طريق الأحلام وعن طريق الدخول فى حالات الغيبوبة و الإغماء .

---

[39] - Snow, D.R., "Sexual dimorphism in Upper Paleolithic hand stencils," *Antiquity*, vol. 80, 2006, pp. 390-404.

[40] - Wang ,J.Z., & Others , Determining the Sexual Identities of Prehistoric Cave Artists using Digitized Handprints ,in: MM, vol.10 , 2010, p. 25–29

[41] - Gunn, R.G., "Hand sizes in rock art: interpreting the measurements of hand stencils and prints," Rock Art Research, vol. 23, 2006, pp. 97-112.

[٤٢]- حسين عباس ، مرجع سابق .

[43] - Awolalu,J.O., What is African Traditional Religion?, Studies in Comparative Religion, Vol. 10, No. 2. 1976, p.1-10.

المنارة للاستشارات
www.

وللوصول إلى التخاطب مع الأسلاف وأرواحهم ، فإنّ شخصية الطبيب الساحر في قبيلة الازاندي يقوم باجتياز مجموعة من التجارب الطقوسية فيتعرّض إلى تجارب جسمانية قاسية كأنواع من الخدش والفصد والوسم يثبت من خلالها شجاعته على تحمّل الآلام فإظهاره لتحمله تلك الآلام وعدم صراخه أمام أفراد القبيلة يجعله، في نظرهم يحمل قوى سحرية غيبية قد منحها له أرواح الأسلاف الذين هم على اتصال دائم مع العالم الخارجي.

وشعب الأزاندي يقبلون على سبيل المثال المشوهين من أطفالهم الذين يولدون كذلك ويعتنون بهم مثل ما يعتنون بالأسوياء منهم، لكنهم يعاملونهم بمعاملةخاصة، اذ يعتقدون أنّ هؤلاء المشوهين لهم صلة بالقوى الغيبية، بأرواح الأسلاف، وهم بذلك يلتجئون في بعض الأحيان إلى نقل البعض من تلك التشوهات الجسدية إلى أجسادهم بواسطة الخدش والوشم حتى لا تتمكن الأرواح الشريرة من الاقتراب منهم وملاحقتهم .

وما كل ذلك الا دليل على الدور الروحى "أو الروحانية " التى تعد حجر الأساس فى فكر وعقيدة أغلب القبائل الأفريقية .[٤٤] ويصعب لغير الأفارقة أن يتخيل أو يرسم صورة واضحه لتلك الروحانيات، أو يضع تجسيد واضح المعالم لشخص الإله فهو يجمع فى طياته بين الأشتات .. ومن الصعب تدارك أبعاد الصورة بمجرد الدراسة، لابد من التعايش مع تلك القبائل كى يتسنى فهم عقائدها بوضوح .[٤٥]

في قبائل أثيوبيا، يمتحن سيد القبيلة بامتحان قاس، فهو بعد أن يُنصّب سيدا للقبيلة فانّ مهمته هي أن يجلب إلى القبيلة الأمطار لتهطل فوق حقولها، إذ يتوجّب عليه أن يتقدم لاختبارات جسمانية قاسية كإحداث رموز ونقوش في جسده عن طريق الوشم والخدش، هذه العلامات والرموز هي بالنسبة لهم تجلب الخير والحظ للقبيلة و"إذا ما أصابته (أي سيد القبيلة) جروح أوضعف أوأقل انخفاض ظاهر في مقدرته الحيوية فإنّ ذلك يؤدي إلى تصفيته حسب الطقوس

إنّ سيد القبيلة يحتكر العديد من المهام فهو المسؤول المباشر في رخاء القبيلة وازدهارها وهو المسؤول إذا تعرضت القبيلة إلى أمراض وكوارث طبيعية كالجدب والقحط، لذلك فإنّ سيد القبيلة عادة ما تكون له علاقة وطيدة بساحر القبيلة أوبأسياد النار" الذين يكونون شخصيات ذوات عاهات أوبساق واحدة أوبعين واحدة و"لكون سيد النار يتحمل الألم ويقوم بأعمال مناقضة لذلك، فإنّه غالبا ما يكون ممتلكا القدرة على الشفاء ودمل الجراح وإعادة التشكيل بالنار ، فالخدش والوشم وشق الجلد يكون عادة باستعمال النار وبواسطة الكيْ، والنار تبقى موضوع افتتان بالنسبة للبشر فهي تمثّل القوة الشاملة "فالنار هي أكثر الأشياء حيوية، وهي بحق من

[44]- Principe,W.,. "Toward defining spirituality." Studies in Religion, 12, (1983): pp.127–41.

[45] -See: Mbiti,J.S., Concepts of God in Africa, 2nd ed. Westport: Praeger Publishers, 1970, 1–348.

المنارة للاستشارات
www.

بين كل الظواهر الظاهرة الوحيدة التي بإمكانها تقبل بنفس الوضوح القيمتين المتضادتين: الخير والشرّ وأسياد النار في العديد من القبائل الإفريقية هم الذين يشرفون على عملية الخدش وتشريط الجلد باستعمالهم النار، فهم يعتقدون أن الوشم أوالخدش الذي يفعل بواسطة حرق الجلد يساعد على إخراج الأرواح الشريرة من الجسد، وتلك العلامات والرموز والندوب التي تبقى بعد عملية الحرق تدل على أن صاحبها محروس ومحمي من الأرواح والأمراض فالعلامات و النقوش تبعد تلك الأرواح الشريرة وهي كذلك فأل حسن لسكان القبيلة. [٤٦]

السحر والعلاقة بينه وبين الوشم والخدش والفصد

من الأسباب المباشرة و التي لا تقل أهمية في إقبال أفراد القبيلة الإفريقية لعملية الوشم والخدش بالرغم من آلامها وعذابها هو الهروب من السحر فهم يتصورون أنّ في استطاعة الساحر العدو إحداث تأثيرات مباشرة على الإنسان عن طريق المحاكاة، أي طريق صنع دمية مشابهة لذلك الشخص وقراءة بعض التعاويذ عليها حيث يتأثر بها شبيهها الأصلي نتيجة للترابط المعنوي، فهو يستنتج أيضا أن أي شيء يفعله بالأشياء المادية سوف يحدث تأثيرا مماثلا على الشخص المراد استنادا لقانون الترابط أي ارتباط الأشياء بعضها ببعض وأقدم أشكال السحر بالنسبة لقبائل وسط إفريقيا هي التي ترتبط بالحصول على الطعام، وقد استخدم هذا النوع من السحر في إفريقيا لحصول الصيّاد على فريسته، فقد كان يؤمن أنّه سوف يحصل على فريسته كلّما غرس رمحه في صورة ذاك الحيوان المرغوب اصطياده وهذا السحر يعرف بالفودو وهي كلمة بمعنى "الروح" وبواسطة دمية الفودو هذه يمكن للساحر تعذيب الشخص الذي يريد التأثير عليه أوحتى قتله وفقا لقوته الروحية، لذلك فإنّ أغلبية أفراد القبائل الإفريقية يلتجئون إلى الوشم والخدش والفصد وإلى تغيير ملامح وجوههم حتّى تحميهم من هذا السحر الأسود فلا يستطيع الساحر التأثير على الشخص المراد النيل منه لأنّ تلك النقوش والخدوش والندوب والعلامات تمثّل تعاويذ وأحجبة ضدّ هذا السحر.

لذلك فإنّ أغلبية الرجال والنساء والأطفال يحملون تمائم وأحجبة حماية للنفس من ضرر السحر فالخدش والوشم سلوك سحري بالأساس.

وُيعتقد أن قدرة تحمل آلام الخدش لدى الفرد في القبيلة وخاصة "الأسياد" تكسبه طاقة روحية سحرية استمدها من أرواح الأسلاف وتكون له بذلك تأثيرات روحانية سحرية على الآخر فهذا المتلقي المشاهد يترسخ في ذهنه أنّ هذا الذي يتحمل الآلام المرعبة لعملية الوشم أوالخدش هو بالتالي يمتلك قوى غيبية وله علاقة بقوى لاهوتية تمكنه من الحصول على القوة والسيادة والنفوذ[٤٧].

[٤٦]- حسين عباس ، مرجع سابق

[٤٧]- حسين عباس ، مرجع سابق

المنارة للاستشارات
www.

وكان الهدف من تلك الممارسات هو إرضاء القوى الروحية الغيبية ، فالخدوش والوشوم الموجودة فوق سطح الجلد الداكن تمثّل في مجملها رموزا وعلامات، ولذا فمن المنطقي القول بأنها لغة تواصلية بين أفراد قبائل وسط إفريقيا.[٤٨]

دور الأقنعة فى المعتقد الطوطمى

تصنع الأقنعة إمّا من مواد عضوية (ألياف نباتية) أومن مواد غير عضوية (مواد معدنية) وهي تمثّل أرواح الأجداد والأسلاف المقدسة لدى الشعوب الإفريقية فوظيفة الأقنعة هذه هي حراسة القبيلة من كل أذى يداهمها وتعد كذلك مصدرا للشفاء من الأمراض .

يلبس الأقنعة أسياد النار في القبيلة والسحرة الذين يعالجون المرضى باستعمال تقنيات الوسم والوشم والخدش وشق الجلد. فالمريض يرى في تلك الأقنعة حضورا لروح الأجداد التي تأتي بالشفاء العاجل له.

عند موت الكاهن أو كبير القبيلة تقام مراسم لدفنه وقبل مواراته التراب يقوم أفراد القبيلة بنحت قناع له وينقلون تلك الرموز والعلامات والخدوش الموجودة في جسد الميت إلى القناع كما هي دون تحريف أوتزييف ثمّ يبدأون بتقديس هذا القناع وذلك باستعماله في طقوسهم الاحتفالية الخاصة فالقناع أصبح له قوى سحرية حينما انتقلت هذه القوى الغيبية الروحية من المادة الحيّة (جسد الكاهن) إلى المادة الجامدة (القناع) عن طريق الخدش والوشم.

تشكل الأقنعة حقيقة أساسية في المعتقد الطوطمي السائد لدى الشعوب البدائية فالمنحوتات والأقنعة الإفريقية تقودنا إلى سريالية تتكامل فيها وحدة الإنسان مع الطبيعة والتحامه بالقوة السحرية حيث ترى العالم قبل كل شيء نظاما من الإشارات والرموز ففن نحت الأقنعة روحاني بالأساس إذ أنّه يربط بين من يرتدي الأقنعة بالعالم الخفيّ الذي تسكنه الآلهة أوتسكنه أرواح الأسلاف متخطيا بذلك شخصيته الأصلية وجامعا ما بين الإنسان وعوالم الحيوان والنبات والأرواح والأشياء الجامدة.[٤٩]

أنواع الأقنعة

- هناك نمط من الأقنعة يحمل العديد من الرموز التي تشبه رموز الوشم والخدش في جلود الأفارقة الزنوج، ويستخدم هذا النمط فى احتفالات التأهيل (كثقب الجلد وخدشه والختان، وتشويه الجمجمة وثقب الأذن أوالأنف والولادة، سن البلوغ، الزواج، تنصيب سيّد القبيلة...) واحتفالات جمع المحاصيل و الصيد.

- الأقنعة العاجية : وتستعمل في الاجتماعات البشرية والممارسات السحرية .

---

[٤٨] - مروة عبد العليم ، الوشم فى أفريقيا ، مجلة أفريقيا قارتنا ، العدد العاشر ، يناير ، ٢٠١٤ ، ص ١ – ٣.

[٤٩]- عبد الستار البدرانى ، السحر المضاد : دراسة أنثروبولوجية فى المكونات الأولى للقناع ، موقع أرنتروبوس ، ج ٢ ، ٢٠١٤

المنارة للاستشارات
www.

- أما الأقنعة الخشبية فهي للاحتفالات العامة لحماية أفراد العائلة من الشياطين والأرواح الشريرة والجنون.

انالفن الإفريقي ليس ترفاً ثقافياً وإنما ضرورة دينية واجتماعية، فقد اكتسبت الأقنعة والرموز الأفريقية مكانتها في إرساء قيمه الدينية والاجتماعية وتأكيد أعرافه وعاداته وتقاليده، والمساهمة في استمرار أساطيره وطقوسه السحرية، ومن هنا أدرك المحللون أن هذه اللغة مصطلح يشير إلى القناع من حيث المدلول السيكولوجي والشكلي و إنها تعبير عن مجمل حياة الأفريقي وعلاقته بالكون من

حوله وأن فن صناعة الأقنعة طريقة من الطرق الفنية التشكيلية التي يمكن من خلالها التعبير عن المدلولات السيكولوجية والشكلية للرموز الإفريقية .[٥٠]

نماذج من بعض القبائل الأفريقية

تعيش شعوب قبائل وسط وجنوب إفريقيا بالخصوص وسط الغابات والأحراش وتتعايش مع الحيوانات الضارية[٥١]، وظهرت لديهم العديد من مظاهر الطوطمية بصور وأشكال وممارسات مختلفة، وغطيت أجسادهم بأوشام وأوسام وخدوش متنوعة .

قبيلة البانتو

هى من المجموعات الزنجية الكبرى على الحدود الجنوبية لنيجيريا والكونغو وفي إقليم هضبة البحيرات الاستوائية.

فى حين يموت أحد أفراد (البانتو)، في إفريقيا الاستوائية، يُنحت له تمثال من خشب أومن مادة أخرى (شكل: ٥) و(شكل : ٦)، هذا التمثال هو تصوير لا يماثل الأصل إنّه تركيب يحل محلّ الجسم الذي هجرته الحياة ، فيعاد إلى التراب، ففي هذا النظير الخالد تسكن ومضة الحياة . بمعنى أنّ الروح التي غادرت الجسد تعود مرة أخرى لتسكن هذا التمثال ولكي لا تتوه الروح عن تمثالها حسب ما يعتقدون فإنّهم يصنعون قناعا لهذا التمثال فيه نقوش وعلامات ورموز تشبه التي كانت في الجسد الإنساني بواسطة الخدش والوشم.[٥٢]

قبيلة اليوروبا

ولقد لعبت الطوطمية دورا عقائديا واجتماعيا هاما فى العديد من القبائل الأفريقية ، وكانت قبيلة اليوروبا أكبر القبائل النيجيرية عددا بعد الهوسا بالجنوب الغربى النيجيرى ، واحدة من تلك القبائل التى لازالت ترى فى الطوطم رمز للقبيلة ، يخترع أهلها القصص والحكايات الخرافية لإكسابه هالة وقداسة ، ثم يصبح "تابو" ، محرّما

٥٠- منى محمد إبراهيم محمد ، المدلول السيكولوجي والشكلي للرموز والأقنعة الأفريقية في فن الباتيك ، مؤتمر كلية التربية الفنية الدولي الرابع (الفنون والتربية في الالفية الثالثة) ، ٢٠١٣ .

51 - Marchant R., and Taylor.D., Dynamics of montane forest in central Africa during the late Holocene: a pollen based record from western Uganda. The Holocene 8, 1998, pp. 375-381.

٥٢- محمد أنور ، شعب البانتو ، مجلة أفريقيا قارتنا ، العدد السادس عشر ، ابريل ، ٢٠١٥ ، ص ١-٢ .

المنارة للاستشارات
www.

لا يجوز المساس به أو الاعتراض على أحكامه ، بل ويتعرض ضد كل من تسول له نفسه ويلمس الطوطم بيده أو يشكك بقدرته بعقوبات مرعبة [٥٣].

ان هذه الممارسات على اختلاف أنواعها انما هى ترتبط فى باطنها بروحانية دفينة فى نفوس أصحابها أو نفوس من يمارسها [٥٤]

قبيلة الموريس أو "المورسي"

هي قبيلة أفرادها رعاة ماشية وهي مجموعة عرقية موجودة في منطقة «أومو ديبوب» في منطقة أثيوبيا بالقرب من الحدود السودانية تحيط بها الجبال بين نهر أومو وروافد نهر«ماقو» .

مارست تلك القبيلة الطوطمية بصورة مختلفة ، اذ جعلت من أجسادهم فى حد ذاتها رموز تجمعهم بالقبيلة (وليس بالإله) فكان الصلة القبلية هى الداعى وراء تلك الرمزية الطوطمية لو صح التعبير، فقد مارست النساء فى تلك القبيلة عادة ثقب الشفاة، وتزيين الجسم بالوشم والألوان ومارس الرجال عادة الخدش والوشم .. وكأنهم يعلنون عن انتمائهم للقبيلة بصورة واضحة لا تدعو مجالا للشك .

عرفت النساء لدى هذه القبيلة بالنساء ذوات الأطباق ، وأطباق الشفاه زينة تعمد إليها المرأة إلى ثقب شفتها السفلية وإدخال طبق في هذا الثقب على أن يتم تغييره من وقت لآخر بحيث يتسع الثقب فيحوي أطباقا أكثر حجما والطريف في الأمر أن اتساع هذا الحجم يحدد مهر المرأة والمواشي والهدايا التي يقبلها أهل العروس من العريس.في بداية سن البلوغ، تضع الفتاة طبقا صغيرا يكون عادة من الخشب وبعد سنة تستغني عنه وتعوضه بطبق خشبي أكبر قليلا، فتتمطط شفتها السفلى وتصبح قادرة على استيعاب أطباق أكبر حجما.وعند الزواج تضع فتاة «المورسي» طبقا نهائيا يكون كبير الحجم وهو عادة من الفخار ويكون مزركشا ومنقوشا بأشكال وعلامات ورموز لا يفك طلاسمها إلا الرجل الذي اختار تلك المرأة. فأطباق المرأة علامة رمزية للرجل ودعوة له بالزواج منها والفتاة التي لا تضع طبقا في شفتها السفلى لايمكنها الفوز بعريس.[٥٥]

قبائل الدوجون أو " الدوغون "

هى قبائل تجمع بين بدائية العيش والتطور الكبير فى علم الفلك والتنجيم ، يرى بعض الباحثين أن تلك القبائل كانت جذورها الأولى من مصر ، ثم مروا على ليبيا واستقروا بـ " مالى " فى غرب أفريقيا ، ويعتقد هؤلاء الباحثين أنهم حملوا معهم من

---

[53] - Omobola,O.C., An Overview of Taboo and Superstition among the Yoruba of Southwest of Nigeria,ph.D, Mediterranean Journal of Social Sciences Published by MCSER-CEMAS-Sapienza University of Rome, Vol .4 No 2 May, 2013,p.221 – 226

[54] - Bird-David, N., 'Animism' Revisited: Personhood, Environment, and Relational Epistemology." Current Anthropology, vol. 40 Supplements, (1999), p. 67–92.

[٥٥]- قبيلة الموريس البدائية ، إحدى أغرب القبائل على وجه البسيطة ، مجلة أفريقيا قارتنا ، العدد العاشر ، يناير ٢٠١٤ ، ص ١-٤

المنارة للاستشارات
www.

مصر علوما كونية تعود لأكثر من ٣٢٠٠ ق.م [٥٦]، ولدى القبيلة مغارة عميقة فى الجبل تحمل جدرانها رسومات ، وطبقا لمعتقداتهم يقوم رجل مقدس بحمايتها طوال حياته ، وتتولى القبيلة بتقديم الطعام له ، وبعد مماته يتولى المهمة مقدس أخر. وتعد قبائل الدوجون من أولى القبائل التى تقدس الأسلاف والأرواح [٥٧].

قبيلة الهيمبا

هي قبيلةٌ إفريقيةٌ ذات نمط بدائي قديم، بدو متنقلون من مكان لمكان بحثاً عن ثروات الأرض من ماءٍ وطعام ، يتوطنون في الشمال والشمال الغربي من دولة ناميبيا (التي تقع جنوب غرب قارة أفريقيا والتي تعد من أقل الدول كثافة بالسكان في العالم .

يشعل سكان هذه القبيلة كل صباح ما يسمى لديهم «بالنار المقدسة» ويقومون بطقوس لإحياء ذكرى أسلافهم عن طريق الاحتفالات والرقص والصراخ حول النار وبواسطة النار يطلبون من أسلافهم الحماية من الأعداء وشفاء مرضاهم ويتم إبقاء النار المقدسة والتي تمثل حلقة الوصل بين الحياة الدنيا وأرواح الأجداد مشتعلة دائماً، ويتم الاهتمام بها من قبل زعيم القبيلة والذي يعد الصلاة حول النار المقدسة وطلب البركة والرحمة والصحة من الأجداد إحدى واجباته الأساسية. [٥٨]

و " ذكرى الأسلاف هي عبادة محمية، في كل عائلة " واحتفالهم بذكرى الأسلاف ماهو في الحقيقة إلاّ اتقاء لشرّ أرواح الأسلاف التي يعتقدون أنّها تتقمّص، في أجساد أحياء يكونون أعداء لهم، و«يفترضون أنّ النفس الغيرى من الأحياء والراغبة في العودة إلى معشر ذويها السابقين تسعى إلى إماتتهم باستنزال الأمراض عليهم وتلك هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق رغبتها في الاتحاد» وحتّى لا تتمكّن تلك الأرواح من ملاحقتهم وإلحاق الأذى بهم فإنّهم يتنكرون بإجراء عمليات الخدش وتشطيب الوجوه خاصة، كما أنّهم يلتجئون إلى تحريف أسمائهم أوتغييرها بسبب «الخوف الذي توحي به (الأرواح) إليهم «نفسه التي صارت عفريتا»

قبائل البوشمن

كانت قبيلة البوشمن واحدة من أهم القبائل البدائية فى جنوب افريقيا ، فالبوشمِن إلى حد ما يعتبر عبدة لأرواح الموتى، غير أنهم يؤمنون كذلك بوجود إله قويّ خلق نفسه ثم خلق الأرض والماء والصحراء، وهو إله خيِّر على الأرجح، إلا أن غضبته مخيفة ويسمونه "هارا"، كما يؤمنون بوجود إله أصغر مسئول عن الشر والسحر

---

[56] - Nyame.G., the Akan , other Africans and the Sirius star system,2008 , p.1-2.

[٥٧]- الدوجون .. من غرائب قبائل دولة مالى ، مجلة أفريقيا قارتنا ، العدد الرابع عشر ، اكتوبر ، ٢٠١٤ ، ص ٣ .

[٥٨]قبيلة الهيمبا ، الوجه الأصيل لدولة ناميبيا ، مجلة أفريقيا قارتنا ، العدد الثالث عشر ، يونيو ، ٢٠١٤ ، ص ١ – ٤

المنارة للاستشارات
www.

الأسوَد [٥٩]. وقد وصف دين البوشمن بأنه "شاماني"[٦٠] بسبب تشابهه مع الطقوس التي تمارسها شعوب القطب الشمالي. فحين يتعلّق الأمر بشفاء مريض أو جلب المطر، يجتمع الرجال والنساء ليلا حول النار، ويغنّون ويرقصون ويصفّقون بأيديهم إلى أن تتولّى أحدهم – المتطبّب – غشية ، ويدخل في تواصل مع عالم الأرواح ، ويتمكن بذلك (أو يُعتقد على الأقلّ) من استخراج المرض من جسم المريض٦١ .

إنمسان ما قبل التاريخ ما زال معاصرا لنا، في الشعوب والقبائل البدائية والتى تتسم بالوحشية فى كثير من الأحيان، ونهتم بدراسة الحياة الروحية لتلك القبائل كونها تعرفنا على حياتنا الروحية في مرحلة سابقة .

من بين الشعوب الانسانيه نجد ان القبائل الافريقيه الاكثر تخلفاً مازالت تنهج هذا المنهج في العباده‌فهم ينحتون من جذوع الاشجار اشكالاً ربما تكون وجوه وربما تكون كائنات وربما تكون حيوانات ثم يلونونها بالوان زاهيه غالباً تكون خليط من الالوان الغير متجانسه المنفره وتضع القبيله الطوطم في مكان مميز وسط قراهم ويتجهوا اليه بالعباده وتقديم القرابين[٦٢] ولاشك أن ذبح الأضاحى وتقديمها قربان لهذا الطوطم ، انما يعد أحد أهم الممارسات اذ للدم دور هام فى العقائد الأفريقية لارتباطه بالتجدد والحياة [٦٣]. وكان من بين القبائل الأفريقية الأخرى التى لعب الدم دور هام فى فكرها ومعتقداتها قبيلة الماساى [٦٤] فى الوسط التنزانى ، وقبيلة الأزاندى بقلب أفريقيا .. كلاهما قد ارتبط لديهم الدم والسحر[٦٥] بالدين والطوطمية والممارسات الطقسية المرتبطة بها.

---

59 - Nienaber.P.J., South African Place-Names, with Special Reference to Bushman, Hottentot and Bantu Place Names, Proceedings of the 8th International Congress Of Onomastic Sciences 1963, pp. 334-45 .

60 - Dowson, T., Debating shamanism in Southern African rock art: time to move on. South African Archaeological Bulletin 2007, 62, 49–61

61 - Jean-François Dortier ‹« Le pape et les Pygmées. À la recherche de la religion première » ‹Les Origines de la Religion ‹Grands Dossiers des Sciences Humaines ‹ 2006/12 (N°5).

٦٢- حسين عباس ، مرجع سابق

63 - Taylor,B., A sample entry from the Encyclopedia of Religion and Nature (London & New York: Continuum, 2005), p.78-81.

64 - Berntsen, J.L. 1976. Maasai and their neighbors - variables of interaction. African Economic History 2: 1-11; Hillman, E. 1994. The Pauperization of the Maasai in Kenya. Africa Today 41(4): 57-65

65 - Pritchard, E. E., Oracles and Magic Among the Azande, Oxford, 1976

المنارة للاستشارات
www.

قائمة الأشكال

شكل : (١) - طوطم أفريقى متمثل فى هيئة كلب برى

شكل : (٢) - قناع خشبى من مالى " قبيلة دوجون" – على هيئة رأس ثور

شكل :(٣) - منظر لأحد رقصات الشامان لإسعاد الأرواح لكى يصطاد القوم بنجاح – شمال أفريقيا – العصرالحجرى القديم

المنارة للاستشارات
www.

شكل : (٤)- الجسد علامة ورمز

شكل : (٥) - تمثال من الخشب لتسكن فيه روح المتوفى بعد موته – قبائل البانتو فى أفريقيا الاستوائية

شكل (٦) طوطم أفريقى –المتحف البريطانى .لندن

المنارة للاستشارات
www.

قائمة المراجع العربية والمعربة

- بركات محمد مراد، فن الوشم، رؤية أنثروبولوجية نفسية، مجلة الثقافة الشعبية، العدد الثالث عشر، عادات وتقاليد، البحرين ، ٢٠١١ .
- حسين عباسى ، الوشم لدى قبائل أفريقيا الوسطى : الذات والموضوع ، مجلة الثقافة الشعبية ، العدد ١٣ ، ٢٠١١ .
- الدوجون .. من غرائب قبائل دولة مالى ، مجلة أفريقيا قارتنا ، العدد الرابع عشر ، اكتوبر، ٢٠١٤ .
- سيغموند فرويد ، الطوطم والحرام ، مترجم ، بيروت ، ١٩٩٧ .
- طه الهاشمي ، تاريخ الأديان وفلسفتها ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٣ .
- عبد الستار البدرانى، السحر المضاد:دراسة أنثروبولوجية فى المكونات الأولى للقناع، موقع أرنتروبوس، ج ٢ ، ٢٠١٤ .
- قبيلة الموريس البدائية، إحدى أغرب القبائل على وجه البسيطة، مجلة أفريقيا قارتنا، العدد العاشر، يناير ٢٠١٤ .
- قبيلة الهيمبا، الوجه الأصيل لدولة ناميبيا، مجلة أفريقيا قارتنا، العدد الثالث عشر، يونيو ، ٢٠١٤ .
- كامل على ، أساطير الأولين – الشامانية ، مجلة " كتابات " ، ٢٠١٢ .
- محمد أنور، شعب البانتو، مجلة أفريقيا قارتنا، العدد السادس عشر، ابريل، ٢٠١٥.
- مروة عبد العليم، الوشم فى أفريقيا، مجلة أفريقيا قارتنا، العدد العاشر، يناير، ٢٠١٤ .
- مسعد بري ، تطور الفكر الطوطمي (دراسة في الجغرافية الاجتماعية) ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية / قسم الجغرافيا ، جامعة حلب ، ٢٠١٠ .
- منى محمد إبراهيم محمد ، المدلول السيكولوجي والشكلي للرموز والأقنعة الأفريقية في فن الباتيك ، مؤتمر كلية التربية الفنية الدولي الرابع (الفنون والتربية في الالفية الثالثة) ، ٢٠١٣

المنارة للاستشارات
www.

قائمة المراجع الأجنبية

- Aaron, D., "The Material Culture and Middle Stone Age Origins of Ancient Tattooing". Tattoos and Body Medications in Antiquity: Proceedings of the sessions at the EAA annual meetings in The Hague and Oslo, 2010/11. Zurich Studies in Archaeology, 9, 2013, pp. 15–26.
- Awolalu ,J.O., What is African Traditional Religion?,in: Comparative Religion, Vol. 10, No. 2, 1976,p.1-10.
- Awolalu,J.O., What is African Traditional Religion?, Studies in Comparative Religion, Vol. 10, No. 2. 1976, p.1-10.
- Balout.L., the prehistory of North Africa, in: Ki-zerbo,J., General history of Africa, Methodology and African Prehistory,1981 ,pp.568-583.
- Berntsen, J.L. 1976. Maasai and their neighbors - variables of interaction. African Economic History 2: 1-11.
- Bird-David, N., 'Animism' Revisited: Personhood, Environment, and Relational Epistemology." Current Anthropology, vol. 40 Supplement, (1999), p. 67–92.
- Clark.J.D., Prehistory in southern Africa,in: Ki-zerbo,J., General history of Africa, Methodology and African Prehistory,1981 ,pp.487-528.
- Daniel M. T., & Navarrete .C.D., "Meat Is Good to Taboo: Dietary Proscriptions as a Product of the Interaction of Psychological Mechanisms and Social Processes." Journal of Cognition and Culture, 3(1), 2003, p.1–40.
- Devilloers,A., Certain Aspects of Pioneer Toponymy in South Africa in the Nineteenth, Century. Proceedings of the 8th International Congress of Onomastic Sciences 1963, pp. 568-74
- Dowson, T., Debating shamanism in Southern African rock art: time to move on. South African Archaeological Bulletin 2007, 62, 49–61
- Fershtman,C., and Hoffman,M., Taboos and Identity: Considering the Unthinkable,in: American Economic Journal: Microeconomics 3 (May 2011): 139–164
- Ferguson.M.J., "The Worship of Animals and Plants." *Fortnightly Review*, 6 (1868), p.407–27, 562–82; 7 (1870), 194–216.
- Francis,L., Significance of animal symbolism among the Akans of Akyem Abuakwa traditional area, Thesis submitted to the School of Graduate Studies, Kwame Nkrumah University of Science and Technology, Kumasi in partial fulfillment of the requirements for the Degree of master of arts in art education ,Faculty of Fine Art, College of Art and Social Sciences July 2009, p.1-4
- Frazer, J. G., The Mackie Ethnological Expedition to Central Africa," *Man*, xx. (1920), p. 181ff.
- Freud, P.S., Totem and Taboo, London, 1919, p.1-22.

المنارة للاستشارات
www.

- Gumo,S ; & Others , Communicating African Spirituality through Ecology: Challenges and Prospects for the 21st Century, Religions ,2012, 3,p.527.
- Gunn, R.G., "Hand sizes in rock art: interpreting the measurements of hand stencils and prints," Rock Art Research, vol. 23, 2006, pp. 97-112.
- Haas, E.Th. Totem und Tabu ein exotischer Tagtraum oder Grundlage einer allgemeinen Kulturtheorie, 2002, Psyche, 56: 139–44.
- Hillman, E. 1994. The Pauperization of the Maasai in Kenya. Africa Today 41(4): 57-65.
- Idowu, E.B., African Traditional Religion, S.C.M., 1973, p.87; Pritchard,E.,Theories of Primitive Religion, 1965, pp.103ff.
- Jean-François Dortier ‹« Le pape et les Pygmées. À la recherche de la religion première » ‹Les Origines de la Religion ‹Grands Dossiers des Sciences Humaines ‹2006/12 (N°5).
- Jean-François Dortier ‹« Le pape et les Pygmées. À la recherche de la religion première » ‹Les Origines de la Religion ‹Grands Dossiers des Sciences Humaines ‹ 2006/12 (N°5).
- Marchant R., and Taylor.D., Dynamics of montane forest in central Africa during the late Holocene: a pollen based record from western Uganda. The Holocene 8, 1998, pp. 375-381.
- Margaret,M., An Ethnologist's Footnote to 'Totem and Taboo', The Psychoanalytic Review ,1930,vol. 27,p.297-304.
- Mbiti,J.S., African Religions and Philosophy, Heineman, 1969, p.1.
- Mbiti,J.S., Concepts of God in Africa, 2nd ed. Westport: Praeger Publishers, 1970, 1–348.
- Nienaber.P.J., South African Place-Names, with Special Reference to Bushman, Hottentot and Bantu Place Names, Proceedings of the 8th International Congress Of Onomastic Sciences 1963, pp. 334-45 .
- Nyame.G., the Akan , other Africans and the Sirius star system,2008 , p.1-2.
- Oman, J., The Natural and the Supernatural, C.U.P., 1931, p.485.
- Omobola,O.C., An Overview of Taboo and Superstition among the Yoruba of Southwest of Nigeria,ph.D, Mediterranean Journal of Social Sciences Published by MCSER-CEMAS-Sapienza University of Rome, Vol .4 No 2 May, 2013,p.221 – 226
- Parrinder,E.G., West African Religion, London, 1949, p.26.
- Principe,W.,. "Toward defining spirituality." Studies in Religion, 12, (1983): pp.127–41.
- Robin,F., Totem and Taboo Reconsidered. In The Structural Study of Myth and Totemism, London, 1967, pp. 161-178

المنارة للاستشارات
www.

- Roscoe, J., the Soul of Central Africa, London, 1922, p. 200.
- Snow, D.R., "Sexual dimorphism in Upper Paleolithic hand stencils," *Antiquity*, vol. 80, 2006, pp. 390-404.
- Taylor,B., A sample entry from the Encyclopedia of Religion and Nature (London & New York: Continuum, 2005), p.78-81.
- Vergano,D., Mummy tattoos hint at ancient Andean acupuncture16 May 2015,in : http://content.usatoday.com/topics/reporter/Dan+Vergano
- Walmsley,G., African Philosophy and the Future of Africa Edited , Cultural Heritage and Contemporary Change Series II, Africa, Volume 14, 2011,p.1-2.
- Wang ,J.Z., & Others , Determining the Sexual Identities of Prehistoric Cave Artists using Digitized Handprints ,in: MM, vol.10 , 2010, p. 25–29
- Wasdell,D., The myth of god, London, 1982, p.31-33.
- Winkelman, M., 2004, 'Shamanism as the Original Neurotheology', Zygon, 39, 1: 193-217.

المنارة للاستشارات
www.